مصر والإدارة الناجحة للأزمة: ازدهار التعليم بعد كورونا

أ.د. محمود عطا محمد علي مسيل *

للمرة الأولى في التاريخ نجد أن الاتجاهات والدوائر الرئيسة للأمن القومي المصري باتت تواجه تحدياتٍ ومخاطرَ وتهديداتٍ تنذر بالعديد من الأزمات، كان يمكن لأيِّهما خلال الفترة الماضية أن تتطور وفقًا لتقديرات مختلفة إلى حَدِّ الوصول إلى المواجهات العسكرية، ولكن الدولة المصرية أدارت تعقيدات وتشابكات هذه الأزمات برشادة وعقلانية تُحسب لها، مُؤكِّدة أنها بهذه الإدارة رسالة سلام للعالم (١).

لقد انقلب العالم فجأةً بين عشيَّةٍ وضُحاها، إصابات للملايين من البشر، ووَفَيات وفقدان للأحباب وللأصدقاء، وحظر تجوال وتباعُد اجتماعى، وتوقف لحركة الحياة من وسائل مواصلات ومدارس وجامعات، ومصانع، وتبدو لمن لا يعرف أنها حرب عالمية ثالثة، ولكن لم تكن هكذا، إنما جَرَّاء ڤيروس لا يُرى بالعين المجردة سُمِّي كورونا المستجد Covid.19، ظهر في مدينة يوهان الصينية في نهاية عام ٢٠١٩ م، وانتشر في معظم أنحاء العالم، وشكَّل ما يُسمَّى جائحة كورونا أو وباء كورونا، كما صنَّفتها منظمة الصحة العالمية (٢).

إن الأزمة التي أنتجها ڤيروس كورونا المستجد Covid.19 هي أزمة كبيرة فعلًا، فلم يحدث أن تم إبطاء الحياة على سطح الكوكب كليةً بهذه الحِدَّة من قبل، يتمنى الكثيرون عودة الحياة إلى ما كانت عليه قبل ظهور الوباء بحيث لا تكون الجائحة سوى مجرد فاصل تعود بعده الحياة الطبيعية كأن شيئًا لم يكن، غير أن أزمةً بهذا الحجم ستُخلِّف – على الأرجح – آثارًا تغير طريقتنا في الحياة بحيث تختلف الحياة الطبيعية الجديدة عمَّا اعتدناه من قبل، فيظهر لنا شكل جديد للحياة الطبيعية (٣).

* أستاذ التربية المقارنة والإدارة التعليمية المتفرغ، كلية التربية – جامعة الزقازيق – مصر.

ولقد لعب الموقع الجغرافي لمصر دورًا كبيرًا في انتقال الأوبئة إليها، حيث أنها تمثل نقطة التقاء رئيسة للتجارة الدولية أو للغزوات العسكرية، ولقد شهدت مصر في تاريخها القديم أو الحديث أو المعاصر انتشارًا لأشكالٍ كثيرةٍ من الأوبئة، ففي عام ١٨٨٣م على سبيل المثال ظهر وباء الكوليرا في مدينة دمياط ومنها انتقل إلى باقي أرجاء مصر، وبلغ عدد من ماتوا بسببه (٤٠) ألفًا، وكان الخديوِ توفيق بنفسه يُشرف على إجراءات مواجهة هذا الوباء، وظهر مرةً أخرى عام ١٨٩٥ في مصر بسبب رحلات التجار وزوار مصر من الخارج، وظهر مرةً أخرى عام ١٩٤٧م بمحافظة الشرقية في قرية القرين التابعة لمركز "أبوحماد"، أصاب ما يقرب من (٢٠) ألفًا تُوفِّي نصفهم [٤].

ومن أشهر الأطباء في التاريخ الذين واجهوا هذه الأوبئة: تحوت المصري – مؤسس علم الميكروبات، الدكتور/ على رضوان (٩٨٠–١٠٦١م) وكان رئيسًا للأطباء في القاهرة أيام الظاهر بيبرس والمستنصر بالله، علي بن أبي الحزم المشهور بابن النفيس في عصر المنصور قلاوون وله مُؤلَّف اسمه "الشامل في الطب"، والدكتور علي باشا إبراهيم وكان مديرًا لقسم الأوبئة في وزارة الصحة، وقد وفر تطعيمًا لكل حجاج بيت الله الحرام في عام ١٩٠٢م [٥].

ولعل الرئيس المصري عبدالفتاح السيسي أثناء أزمة كورونا كان من أكثر قادة العالم الذين اهتموا ببث الطمأنينة في نفوس المواطنين، بأن بلادهم قادرة على تجاوز تلك الأزمة الخطيرة التي روَّعت العالم كله بسلام وبأقل الخسائر البشرية والاقتصادية، وذلك على عكس قادة آخرين أثاروا فزع شعوبهم، وهذا يرجع إلى ثقة الرئيس في قدراتنا على مواجهه الأوبئة، وهي القدرة التي صاغتها خبرات تراكمت لدينا في مواجهه أوبئة سابقة؛ خاصة في العصر الحديث [٦].

ومن المؤكد أن الآثار السلبية لڤيروس كورونا المستجد Covid.2019 امتدت لتشمل كل مؤسسات المجتمع، وفي القلب منها المؤسسات التعليمية على اختلاف مستوياتها ونوعياتها؛ فقد توقفت العملية التعليمية في صورتها الطبيعية بجميع أبعادها، وتعطلت عمليات التدريس التي تتم من خلال المنهج المقرر وتوقفت المدرسة والجامعة عن القيام بأدوارهما التعليمية والتربوية، باعتبارهما مركزًا لممارسة الأنشطة الاجتماعية والتفاعل الإنساني، والتي لها دورٌ أساسٌ في عمليات تعلُّم الطلاب وتطورهم.

ومع ازدياد أعداد المصابين قامت الحكومة المصرية باتخاذِ حُزْمةٍ من الإجراءات الوقائية للحد من انتشار العدوى، وعلى رأسها توقف حضور التلاميذ والطلاب في المدارس والجامعات، وكان من هذه الإجراءات ما يلي:

١- أعلنت وزارة التربية والتعليم تعطيل الدراسة في جميع المراحل الدراسية وإلغاء امتحانات الفصل الدراسي الثاني، وتم تكليف الطلاب بإعداد مشاريع بحثيَّة ووفقًا لمعايير محددة، تختلف من مرحلة لأخرى، وتُعدُّ هذه المشاريع البحثية شرطًا لانتقال الطلاب في الصفوف الدراسية من الثالث الابتدائي وحتى الثالث الإعدادي [٧].

٢- وفي الوقت نفسه، ناقش المجلس الأعلى للجامعات في جلسته بتاريخ ٢٠٢٠/٤/١٨م مجموعة من القرارات ذات الصلة بأزمة فيروس كورونا، منها [٨]:

أ- استكمال المناهج الدراسية بنظام التعليم عن بُعد حتى يوم الخميس ٢٠٢٠/٤/٣٠م.

ب- بالنسبة إلى طلاب فرَق النقل يلغى إجراء الامتحانات التحريرية والشفوية الخاصة بالفصل الثانى على أن تستبدل بإحدى الوسيلتين الآتيتين:

- إعداد الطلاب رسائلَ بحثيَّةً مقبولة (مقال، مشروع بحثى، بحث مرجعي) في المقررات الخاصة بالفصل الثاني، وفي ضوء الضوابط التي تضعها الجامعة.
- عقد اختبارات إلكترونية للمقررات التي كانت تُدرس في هذا الفصل بالنسبة إلى الكليات المقيد بها أعداد محدودة من الطلاب، وفي البديلين لا تُرصد درجات ويُعتبر الطالب ناجحًا أو راسبًا فقط.

وفي ضوء هذه الظروف والأحوال من المتوقع أن تزدهر إدارة العملية التعليمية عبر الإنترنت في المستقبل، حيث التواصل بين الطلبة والمعلمين بشكلٍ لا يتطلب إلغاء الفصول الدراسية والامتحانات، ومن الممكن دراسة إدارة العديد من المدارس تكنولوجيًا مما يحقق العديد من الفوائد للدول، منها توفير بناء مدارس في المستقبل، وتقليل كثافة الفصول وتقليل الزحام، ويمكن أن تؤدي شركات الاتصالات دورًا مهمًا في هذا المجال، وذلك بتخفيض أسعار خدماتها وتخصيص ميِّزات تفضيلية لفئات معينة مثل الطلبة لمباشرة عملية التعلم، والموظفين لإنجاز أعمالهم؛ خصوصًا إذا كانت أعمالًا خدمية للجمهور [٩].

وإذا كانت الدولة قد نجحت في إنهاء العام الدراسي ٢٠٢٠/٢٠١٩ بنجاح لا يمكن إنكاره ممثلة في وزارة التربية والتعليم العالى، وبمساعدة كثير من مؤسسات المجتمع الأخرى، فإن العام الدراسي القادم ٢٠٢١/٢٠٢٠م سوف يشهد استمرارًا لانتشار فيروس كورونا وإن كان بمعدلاتٍ أقل، مع احتمال حدوث ما يُسمَّى بالموجة الثانية للفيروس مع بداية فصل الخريف والشتاء؛ كل ذلك يفرض على الدولة عمل ترتيبات مختلفة للعام الدراسي القادم، وهو ما أعلنه

الدكتور طارق شوقي وزير التربية والتعليم والدكتور خالد عبدالغفار وزير التعليم العالي والبحث العلمي من إجراءات لمواجهة فيروس كورونا، سواء بتحديد أيام معينة يذهب فيها الطلاب إلى المدارس لتقليل كثافة الفصول في المدارس، واعتماد الجامعات على ما يُسمى بنظام التعليم الهجين، الذي يجمع فيه الطالب بين الحضور أيامًا محددة إلى الجامعة والاستفادة من نظام التعليم عن بُعد في أيامٍ أخرى.

وبالإضافة إلى ذلك هناك مجموعة من التوجيهات التي يجب مراعاتها، سواء من المؤسسات التعليمية ذاتها أم من أولياء الأمور والطلاب، يمكن أن يُسْهم الالتزام بها في تهيئة الطلاب لاستقبال العام الدراسي الجديد في ظل فيروس كورونا المستجد Covid.19 بصورة أفضل، من ذلك على سبيل المثال:

- تهيئة المدارس لاستقبال الطلاب من خلال الاهتمام بنظافة المكان، والتعقيم المستمر وتهوية الفصول والقاعات الدراسيَّة والحمَّامات والملاعب.... إلخ.
- الحرص على تقليل الكثافة الطلابية سواء في الفصول أم القاعات الدراسية، وهو ما يمكن تحقيقه من خلال الدوام الجزئيّ للطلاب.
- توفير غرف عزل في المدارس والمؤسسات التعليمية تحسبًا لظهور أي أعراض على أي طالب.
- الاهتمام بتوفير الرعاية الصحية للطلاب، من خلال تحديد طبيب مُعيَّن لمدرسةٍ أو أكثر، مع وجودٍ دائمٍ للزائرة الصحية بالمدرسة.
- الاهتمام بتوعية الطلاب من خلال الإذاعة المدرسية بالڤيروس ومظاهره، وأسباب انتشاره وكيف يمكن مقاومته، بالإضافة إلى ذلك الاستفادة من الملصقات والبوسترات التوعوية في كل مكان بالمدرسة.
- فرض إجراءات وقائية تضمن حماية الطلاب وجميع العاملين في المؤسسات التعليمية من العدوى؛ مثل: توفير أجهزة قياس الحرارة، وتنظيم دخول وخروج الطلاب إلى المدرسة أو قاعات الدروس.
- الاهتمام بالتربية الرياضية؛ خاصة بعد ما أعلنته الوزارة من أنها ستكون مادة نجاح ورسوب في سنوات النقل، وذلك في إطار التعاون بين وزارة التربية والتعليم ووزارة الشباب وجهاز الرياضة.

وفي مقابل ما تقوم به الدولة من جهود نرى أن على الأسرة وأولياء الأمور، بل والطلاب أنفسهم، جهدًا كبيرًا في التكيُّف مع الظروف الجديدة، مع مراعاة الالتزام بما يلي:

- توعية الطلاب للاهتمام بالنظافة الشخصية وغسل الأيدي بشكل مستمر وعدم المصافحة بين الطلاب.
- أن يكون الطالب حريصًا على ارتداء الكمامة والاهتمام بالتباعُد الاجتماعي.
- أن تحرص الأسرة على إرسال الطعام اللازم لأبنائهم لتقليل اختلاط الطلاب أثناء شراء الطعام؛ خاصة بعد إغلاق كانتين المدرسة.
- أن تهتم الأسرة بممارسة الرياضة وخاصةً بالنسبة إلى الأطفال في هذه المرحلة؛ نظرًا لوجودهم في المنزل أكثر من يومين.
- في إطار تقنين الدروس الخصوصية وعودة مجموعات التقوية في المدارس في ضوء القرار الوزاريّ الجديد، على الأسرة أن تدعو الأبناء للاستفادة من هذه المجموعات.
- أن تكون الأسرة حريصةً على دعوة الأبناء ومساعدتهم على الاستفادة من نظام التعليم عن بُعد، والمناهج الدراسيَّة المختلفة الموجودة على موقع وزارة التربية والتعليم وبنك المعرفة.
- أن تهتم الأسرة بدعوة الأبناء للاستفادة من مكتبة الدروس الإلكترونيَّة للمرحلة الثانوية، فهناك: (E-Book)، منصة تعليمية جديدة من خلال كتب إلكترونيَّة تفاعُليَّة.

المراجع:

١. أحمد ناجي قمحة، الاتجاهات الحاكمة للسياسة الخارجية المصرية في ست سنوات، مجلة السياسة الدولية، العدد (٢٢١)، يوليو ٢٠٢٠م، ص٦.

٢. عبدالمسيح سمعان يوسف، تأثير انتشار جائحة كورونا في البيئة العالمية، مجلة السياسة الدولية، العدد (٢٢١) يوليو ٢٠٢٠م، ص ٦٢.

٣. جمال عبدالجواد، الاستمرارية والتغير والأيديولوچيا: رؤى متنافسة لعالم ما بعد كورونا، مجلة الديمقراطية، العدد (٧٩) يوليو ٢٠٢٠، ص ٢٢.

٤. سيد الخمار، معارك المصريين ضد الأوبئة عبر التاريخ، مجلة أحوال مصرية، العدد (٧٧)، يوليو ٢٠٢٠م، ص ص ١٦٨-١٧٢.

٥. سيد الخمار، معارك المصريين ضد الأوبئة عبر التاريخ، مجلة أحوال مصرية، العدد (٧٧)، يوليو ٢٠٢٠، ص ١٧٣.

٦. عبدالقادر شهيب، رؤساء.. وكورونا، كتاب الجمهورية، أغسطس ٢٠٢٠م، ص ص ١٨١– ١٨٢.
٧. أمل أنيس، أزمة كورونا واستراتيجيَّة المواجهة فى التعليم المصري.. رؤى نقدية، مجلة أحول مصرية، العدد (٧٧) يوليو ٢٠٢٠م، ص ص ١٠٧ – ١٠٨.
٨. المجلس الأعلى للجامعات، الإدارة المركزية لشئون السكرتارية التنفيذية ولجان قطاعات التعليم الجامعى والعلاقات الثقافية، الإدارة العامة لشئون السكرتارية التنفيذية، أمين المجلس الأعلى للجامعات، ٢٠٢٠/٤/١٩م.
٩. سما سليمان، كورونا.. قراءة في إدارة الأزمة، مجلة السياسة الدولية، العدد (٢٢٠)، أبريل ٢٠٢٠م، ص ١٤٠.